ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٤٢٩) / عبد الحليم الغزّي
صولة القمر (ج٤٩)
صناعةُ الدين المُزيَّف عبر الثالوث المُنجَّس: المرجع ، التقليد ، الخُمس (ق٩)
حكم القرآن على علم اصول الفقه بالكفر والبطلان
الاربعاء : ١٩/شوال/١٤٤٤هـ - الموافق ١٠/٥/٢٠٢٣م

**عُنواننا الجديد: "مَحكَمَةُ القُرآن".**
" مَحكَمة القُرآن تُصدرُ حُكمها النهائيَّ القَطعيّ غيرَ الـمُستأنف على ما يُسمَّى؛ بِعلمِ أصول الفقه، بالكُفرِ والبُطلان إنَّها مَحكَمَةُ القُرآن".
مُكوِّناتُ علمِ أصول الفقه الأساسيّة بحسبِ السقيفتين اللَّعينتين، إنَّني أتحدَّثُ عن سقيفةِ بنِي ساعدة وعن سقيفةِ بني طوسي، يُمكنني أن أُجمِلَها لَكُم:
- أوّلاً: "**القُرآن**"، ما يأخذونهُ من القُرآن.
- ثانياً: "**علمُ الرِّجال** "، حيثُ يَستعملونَ علمَ الرِّجال في تقييمِ النُّصوص الَّتي تحتاجُ إلى تقييمٍ رجاليٍّ بحسبِ وجهةِ نَظرهم، إنَّها الأحاديثُ الَّتي يحتاجونها تارةً في الاستدلال على قاعدة من قواعد أصول الفقه، وتارةً يأتونَ بها حُكماً تَفريعياً تَشقيقياً، إلى غيرِ ذلك.
- ثالثاً: "**الفاعِلُ العقلي**"، لا أستطيعُ أن أقول من أنَّ العقلَ مَصدرٌ مُستقلٌّ كاملٌ من مصادرِ علمِ أصول الفقه، لأنَّ الأمرَ يختلطُ فيما بينَ ما يُقالُ لهُ علمٌ وفيما بينَ ما يُقالُ لهُ ظَنٌّ، هُناكَ ظَنٌّ من دونِ حُجيّة، وهُناكَ ظنٌّ لهُ حُجيّةٌ هـكذا هُم يقولون، إلى سائرِ ما يُنتِجهُ الفاعِلُ العقلي، النَّشاطُ العقليّ الفِكريّ الَّذي يُمارسهُ عُلماءُ أصول الفقه.
- رابعاً: "**اللُّغة** "، أتحدَّثُ هُنا عن اللُّغةِ العربيّة، فَهُناكَ مساحةٌ واسعةٌ لِمباحث الألفاظِ في علمِ أصول الفِقه، والمردُّ في ذلكَ إلى اللُّغة بغضِّ النَّظرِ عن التفاصيلِ والجزئيّات الكثيرة.
هـذه المكوِّناتُ الأساسيّةُ لجوهرِ علمِ أصول الفقه إن كانَ هُناكَ لهـذا العلمِ من جوهر، قطعاً الفَلسفةُ داخلةٌ، علمُ الكلامِ داخلٌ، قائمةٌ طويلةٌ من الأمور الَّتي تُشَكِّلُ جُزءاً من دواخلِ علمِ أصول الفقه.
**سنذهبُ إلى مَحكَمة القرآن كي نُحاكمَ هـذه العناوين:**
ما يأخذونهُ منَ القرآن منَ النُّصوص أو ممَّا يُقَسِّمونَهُ في علمِ أصول الفقه ما بينَ نصوص الكتاب وظواهر الكتاب، وإنَّما أقولُ بالإجمال، ما يأخذهُ عُلماء الأصول إن كانوا من سقيفة بنيِ ساعدة أو كانوا من سقيفة بني طوسي إنَّهُم يأخذونَ منَ القُرآن ما يَجدونهُ نافعاً لَهُم في بَحثهم الأصولي، وحينما يُفَسِّرونَ تلكَ الآيات إنَّهُم يُفَسِّرونَها بحسبِ عُقولهم بحسبِ آرائهم، يَستعينونَ باللُّغة وفقاً للضوابطِ الَّتي يَضعونها لتلكَ اللُّغة، اللُّغةُ ليست حاكماً على القُرآن، اللُّغةُ تكونُ حاكماً على القُرآنِ إذا جاءت في سياق نظا م تفسير القُرآن الَّذي بايعنا عليه في بيعة الغدير، وإلَّا أن تكونَ اللُّغةُ حاكماً مُطلقاً على القُرآن هـذا سيأخُذنا إلى الضلال بتمام معنى هـذه الكلمة..
أريدُ أن أعرضَ بَينَ أيديكُم ماذا يقولُ القُرآنُ عن نَفسه، وبعدَ ذلكَ أسألُ: هل أنَّ عُلماء أصول الفقه تعاملوا مع القُرآن مثلما يقولُ القُرآنُ عن نَفسه؟ أم أنَّهم أنشأوا شيئاً آخر أنشأوا مَنظومةً أخرى؟! في الحقيقة إنَّهم أنشأوا مَنظومَةً أخرى للتعامُل مع القُرآن، لن أدخُلَ في تفاصيلها وإنَّما سأكتفي بالمضمون الإجمالي الَّذي يظهرُ من الآيات تستطيعونَ أن تتلمسوهُ بسهولة ومن القراءة الأولى لتلكَ الآيات.
أبدأ من الآيةِ الأولى بعد البسملة من سورة هود: ﴿**كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت من لَّدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ**- القُرآنُ يَتحدَّثُ عن نَفسه من أنَّ كُلَّ آياته قد أُحكمت كتابٌ بِكُلِّ آياته، قطعاً هـذا مستوىً من مستويات القُرآن، وهـذا يعني أنَّ القرآنَ على عدَّةِ مستويات، فهل تعامَلَ علمُ أصول الفقه معَ القُرآن وفقاً لهـذه الرؤية القُرآنية نَفسها؟
في سورة الحجر، الآية ٨٧ بعدَ البسملة والخطابُ لرسول اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله، كما هو شأنُ القُرآن؛ "الخطابُ لَفظاً لرسول اللّه ومعنىً ومضموناً للأُمَّة": ﴿**وَلَقَد آتَينَاكَ سَبعاً مِّنَ المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيمَ**﴾، هـذه الآيةُ تأتي في نَفس سياق الآية المتقدّمة الذّكر، إنَّها نعمةٌ عظيمةٌ من اللّه على عباده، مَنطقُ الإحكام والتفصيل.
في سورة الزمر، الآية ٢٣ بعد البسملة: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً**- كُلُّ الكتاب مُتشابهٌ، هـذا أفقٌ آخر، الأفقُ الَّذي تَحدَّثت عنهُ سورةُ هود وسورةُ الحجر: ﴿**كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ**﴾، هُنا الكتابُ كُلُّهُ مُتشابهٌ - **اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ** - المثاني الَّتي مرَّ الحديثُ عنها في سورة الحجر ومن أنَّها مُحكمةٌ مُفصَّلةٌ هُنا هي مُتشابهةٌ - **تَقشَعِرُّ منهُ جُلُودُ الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ من هَادٍ**﴾، الآيةُ بنحوٍ واضح تَحدَّثت عن أنَّ الكتابَ بكُلِّه كتابٌ مُتشابه، بينما في سورة هود: ﴿**كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ**- الإحكامُ في كُلِّ آياته منَ أوَّله إلى آخره وفوقَ الإحكام تَفصيل - **كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت**﴾.
في سورة آل عمران فإنَّنا سنجدُ أُفُقاً ثالثاً تُحدِّثنا الآيةُ ٧ بعد البسملة عنه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ منهُ آيَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾.
- هُناكَ أُفُقٌ؛ تكونُ الآياتُ في مَقام الإحكامِ والتفصيل.
- وهُناكَ أُفُقٌ؛ تكونُ الآياتُ مُتشابهةً.
- وهُناكَ أُفُقٌ؛ تكونُ بعضُ الآيات في مستوى الإحكام وبعضُ الآيات في مستوى التشابُه.
والآياتُ الـمُحكَمةُ هي الَّتي تُشَكِّلُ حقيقةَ أُمِّ الكتاب.
في سورة الرَّحمٰن، بعدَ البسملة من الآية ١ - ٤: ﴿**الرَّحمَٰنُ ۞ عَلَّمَ القُرآنَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾، أيّ بَيانٍ هـذا؟ قطعاً الحديثُ عن الإنسان هُنا في أعلى درجاته، وأعلى درجات الإنسان مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّهُ عليه وآله ومن بَعده آلهُ الأطهار مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، ﴿**الرَّحمَٰنُ ۞ عَلَّمَ القُرآنَ** - لم يُعَلِّمهُ لي مَن أنا؟! عَلَّمَ القُرآنَ لمَ ن هُوَ في هـذه المنزلة، اللّهُ هُوَ الـمُعلِّمُ وهُوَ التلميذ، ومَادَّةُ التعليم القُرآن، إنَّهُ لا يَنطَبِقُ إلَّا على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فالقُرآنُ منَ الرَّحمن، والبيانُ منهُ لَمَن يُوجِّهُ القُرآن والبيان؟ للإنسان الَّذي هُو في أعلى درجات الإنسانيّة، مُحَمَّدٌ وعَلِيٌّ وآلهما الأطهار صلواتُ اللّه عليهم جميعاً.
في سورة القيامة، الآية ١٧ بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ** - القُرآنُ الَّذي هُو قُرآنُ اللّه جَمعهُ أمير المؤمنين، وهـذا هو القُرآنُ الَّذي معَ إمامِ زماننا - **فَإِذَا قَرَأنَاهُ** - بالقراءة الصحيحة الَّتي هي قراءتُنا قراءةُ اللّه - **فَاتَّبِع قُرآنَهُ** - لا تَتَّبِع قراءات الكسائيّ اللَّواط - **ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ**﴾، مثلما تقدَّم في سورة الرَّحمٰن من أنَّ القُرآنَ منَ اللّه ومن أنَّ البَيانَ من اللّه، عمليّةُ الجمع والقراءة والبيان من اللّه عبرَ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ولكنَّ في سورة القيامة جاء الضمير ضَمير

الجمع (نا) يعودُ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، "**إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ**"، هـٰذه قاعدةٌ من قواعد تفسير القرآن بحسبِ منهج عليّ أمير المؤمنين، هـٰذا الكلامُ نَضعهُ جانباً إنَّما ذكرتهُ للفائدة العلميّة، القُرآنُ من اللّه، البيانُ من اللّه، الجمعُ على اللّه، القراءةُ من اللّه، كُلُّ شيء من اللّه، نَحنُ لا صلة لنا باللّه، الواسطَةُ فيما بيننا وبين اللّه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّهُ عليه وآله، فَمردُّ كُلِّ ذٰلك إلى مُحَمَّد فَعلينا أن نأخُذَ التفسير من مُحَمَّد، فهل أخذَ عُلماء أصول الفقه تفسير القُرآن من مُحَمَّد؟ متى أخذوا ذٰلك وأين هُو تفسير مُحَمَّد لقُرآنه؟!

في الآية ٨٩ بعد البسملة من سورة النحل: ﴿**وَنَزَّلنَا عَلَيكَ الكتَابَ تبيَاناً لِّكُلِّ شَيء وَهُدًى وَرَحمَةً وَبُشرَىٰ للمُسلمينَ**﴾، هـٰذه الحقيقةُ هل يستطيعُ عُلماء أصول الفقه من السقيفتين أن يُدركوها؟ إذا لم يُدركوا هـٰذه الحقيقةَ أنَّى لَهُم أن يفقهوا القُرآن؟! حينئذ سيتحدَّثونَ بشيء لا علاقة لهُ بالقُرآن، من هـٰذا الَّذي يستطيعُ أن يجد في القُرآن تبياناً لكُلِّ شَيء؟ إنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّهُ عليه وآله فقط، قطعاً آلُ مُحَمَّد هُم هُم، أوَّلُهُم مُحَمَّدٌ أوسطُهُم مُحَمَّدٌ آخرهُم مُحَمَّدٌ كُلُّهُم مُحَمَّدٌ.

الَّذي يُبينهُ ويُدركُ هـٰذه الحقيقةَ في الآية ٤٤ بعد البسملة من سورة النحل: ﴿**وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ** - لأيِّ شيء؟ - **لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾، هـٰذا هو الَّذي نستطيعُ أن نعملهُ مع القُرآن، "**وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**"، لا نستطيعُ أن نفسر القُرآن، القُرآنُ تفسيرهُ عندَ مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله، القرآنُ هو الَّذي يتحدَّثُ عن نفسه بنفسه، فهل علماء أصول الفقه أعلمُ من القُرآن بنفس القُرآن؟! - **وَلَعَلَّهُم** - لعلَّهم ربَّما هُناك توقُّع - **وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾، يعني أنَّك يا رسولَ اللّه تبيِّنُ الحقائقَ من الكتاب من الذِّكر ولكنَّ النَّاس لا تفقهُ ذٰلك، ربَّما هُناك من يفقهُ منهم، لم يُنزَّل الذِّكرُ إليَّ وإليكم كي نقولَ فيه ما نريدُ أن نقول، وإنَّما كي نستمعَ إلى الَّذي يمتلكُ بيانهُ كي نتفكَّر في بيانه، وهـٰذا هو مضمونُ بيعة الغدير، هـٰذا هو النظامُ الحقيقيّ، هـٰذا هو الدِّينُ الحقيقي..

في السورة نفسها، الآية ٦٤ بعد البسملة: ﴿**وَمَا أَنزَلنَا عَلَيكَ الكتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اختَلَفُوا فيه وَهُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمنُونَ**﴾، "**إِلَّا!!**"، فالبيانُ من جهة مشخَّصة، ولذا فإنَّ القُرآنَ محفوظٌ عندَ هـٰذه الجهة وليس عندَ الأُمَّة، الأُمَّةُ حرَّفت القُرآن، حرَّفت القُرآنَ لفظاً ومعنى، القُرآنُ محفوظٌ موجودٌ عندَ من؟ عندَ الَّذي علَّمهُ اللّهُ القُرآن وعلَّمهُ البيانَ، وعندَ الَّذي جمعَ القرآنَ، وعندَ الَّذي قرأ القُرآنَ قراءةً صحيحة كما يريدُ اللّه، وعندَ الَّذي فسَّر القُرآن، وعندَ الَّذي أمرنا اللّهُ أن نبايعه على أنَّ نأخذَ القرآنَ منه فقط من علي، ﴿**وَإِن لَّم تَفعَل** - في الآية ٦٧ بعد البسملة من سورة المائدة - **وَإِن لَّم تَفعَل** - يا رسول اللّه - **فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ**﴾، هـٰذه مواثيقُ اللّه، ومواثيقُ مُحَمَّد صلّى اللّهُ عليه وآله، بغضِّ النَّظرِ عن بيعة الغدير لكنَّها تفرضُ نفسها، حقيقةُ بيعة الغدير حقيقةٌ تفرضُ نفسها على واقع القُرآن وعلى واقع الدِّين.

هـٰذا التفصيلُ جاءَ مذكوراً في سورة البقرة في دُعاء إبراهيم حينما كانَ معَ ولده إسماعيل يرفعان قواعدَ البيت: ﴿**وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ منَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل منَّا** - وإبراهيمُ يدعو للأُمَّة الَّتي ستكونُ في محيط هـٰذا البيت، للأُمَّة الَّتي سيكونُ هـٰذا البيتُ رمزاً لها - **رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِّنهُم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِكَ** - التلاوةُ منه وليست من غيره - **وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾، هـٰذه الجهةُ الَّتي يُؤخَذُ منها القُرآن ويُؤخذُ منها علمُ القُرآن.

هـٰذا المضمونُ يتأكَّدُ في السورة نفسها في الآية ١٥١ بعد البسملة: ﴿**كَمَا أَرسَلنَا فيكُم رَسُولاً مِّنكُم** - ماذا يفعلُ هـٰذا الرَّسولُ الَّذي هوَ منَّا؟ - **يَتلُو عَلَيكُم آيَاتنَا وَيُزَكِّيكُم وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ** - كُلُّ شَيء مردَّهُ إلى رسول اللّه - لم يُرجعنا القرآنُ إلى جهة ثانية، هُناك جهةٌ واحدةٌ هي الَّتي شَخَّصها لنا القُرآن والكلام هنا في مرحلة التَّنزيل، في مرحلة التَّأويل فإنَّ الكلامَ سيكونُ عن مجموعة وليس عن مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله فقط..

في سورة آل عمران، الآية ١٦٤ بعد البسملة: ﴿**لَقَد مَنَّ اللّهُ عَلَى المُؤمنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسُولاً مِّن أَنفُسِهِم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِه وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحكمَةَ وَإِن كَانُوا من قَبلُ لَفي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾، المضمونُ هو هو هـٰذا التكرارُ لأجل أن تلتفتَ الأُمَّةُ إلى هـٰذه الحقيقة.

في الآية ٢ بعد البسملة من سورة الجمعة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنهُم يَتلُو عَلَيهِم آيَاته وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كَانُوا من قَبلُ لَفي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾، تُلاحظونَ أنَّ منطقَ القُرآن منطقٌ واحد، القُرآنُ أفاقٌ، أسرارٌ وحقائق لا نستطيعُ أن نَصلَ إليها، هُناكَ جهةٌ مُرتبطةٌ باللّه ارتباطاً مُباشراً هـٰذه الجهةُ هي الَّتي نأخذُ حقائقَ القُرآنَ منها، أينَ هـٰذا المنطقُ من علم أصول الفقه؟!

في الآية ٧ بعد البسملة من سورة آل عمران، الآيةُ الَّتي أخبرتنا من أنَّ القرآنَ في أُفُقٍ من أفاقه يَشتملُ على آيات مُحكَمَة وآيات مُتشابهة، الآيةُ نفسُها بحسبِ قراءة العترة الطاهرة لا بحسبِ قراءة مُخالفي العترة الطاهرة: ﴿**وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ**﴾، بحسبِ قراءة مُخالفي العترة الطاهرة فإنَّ الواوَ ليستَ عاطفةً وإنَّما هي واوٌ استئنافيّة، لأنَّهم يقرؤونَ بهـٰذه الطريقة: "**وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللّه** - وهُنا توقُّف - **وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلم**"، إلى آخرِ ما جاء في الآية، ولكن بحسبِ قراءة العترة الطاهرة: ﴿**وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ**﴾، هُنا توقُّف..

"**يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا**"، هـٰذا قولُ الَّذينَ لا يعلمونَ تأويلهُ، لأنَّ الآيةَ حدَّثتنا عن مجموعة عالمة بالتأويل، وهُناكَ مجموعةٌ ليست عالمةً بالتأويل لكنَّها لم تدخل في هـٰذا الوصف: "**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ**"، هـٰؤلاء الَّذينَ في قلوبهم زيغٌ، الَّذينَ ليسَ في قُلوبهم زيغٌ أينَ هُم؟ لابُدَّ من تقدير الكلام حينئذٍ، فهُناكَ ثلاثُ مجموعات:

الَّذينَ في قلوبهم زيغٌ: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ ابتغَاءَ الفتنَة وَابتغَاء تَأوِيلِه**﴾، هـٰذه مجموعةٌ.

﴿**وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ**﴾، لا يمكن أن تكونَ الأُمَّةُ كُلُّها راسخةً في العلم!!

إذاً أينَ المجموعةُ الثَّالثة الَّتي ليسَ في قلوبها زيغ؟!

إذاً المجموعةُ الثالثة أين من الأُمَّة والَّتي ليست في قلوبها زيغ؟: ﴿**يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا**﴾.

**هـؤلاء هُم هُم الَّذينَ جاء ذكرهم في سورة العنكبوت؛**

الآيةُ ٤١ بعد البسملة، هـٰذه آيةٌ مرموزةٌ: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونِ اللّه أَولِيَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبُوت اتَّخَذَت بَيتاً وَإِنَّ أَوهَنَ البُيُوت لَبَيتُ العَنكَبُوت لَو كَانُوا يَعلَمُونَ**﴾، "**لَو كَانُوا يَعلَمُونَ**"، هـٰذا المثال ما هو بمثال سطحي هـٰذا مثالٌ مرموزٌ، الحديثُ ليس عن ضعف بيت العنكبوت وعن ضعف نسيجه، ولا عن الَّذي يجري في داخل بيت العنكبوت من علاقة بين أفراد أسرة العنكبوت، أمورٌ هـٰذه بُنيت في محالِّها، وهـٰذه المضامينُ أنا لا أنكرها، القُرآنُ أفاقهُ كثيرةٌ، القُرآنُ لهُ مطالعُ ومجاري، لكنَّ المعنى المرموزَ في هـٰذا المثال في الآية ٤٣ بعدَ البسملة إشارةٌ واضحةٌ إلى دقَّة هـٰذا الرمز: ﴿**وَتلكَ الأَمثَالُ** - وتلكَ الأمثَالُ؛ بيتُ العنكبوت مَثَلٌ من هـٰذه الأمثال - **وَتلكَ الأَمثَالُ نَضرِبُهَا للنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ**﴾، إلَّا العالمونَ أولـٰئكَ هُم الرَّاسخونَ في العلم، حقائقُ القُرآن حتَّى في هـٰذه الأمثلة الَّتي تبدو أنَّها سهلةٌ في فهمها هـٰذه أمثلةٌ مرموزةٌ لها دلالاتٌ عميقةٌ، الآيةُ صريحةٌ في بيانِ هـٰذا الأمر، "**نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ**"، لجميع النَّاس، العالِمونَ بعضُهُم، الراسخونَ في العلم بعضُ الأُمَّة، الآياتُ واضحةٌ جِداً.

في الآية ٤٣ بعد البسملة من سورة الرعد: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، لا كما يقول المخالفون ومن تَبِعَهُم من شيعة الطوسي من أنَّ الَّذي عِندَهُ علمُ الكتاب قومٌ من اليهود أو من النصارى، الَّذي عندَهُ علمُ الكتابِ هُنا علي، من هم هؤلاء اليهودُ والنصارى الَّذينَ تكونُ شهادتهم مساويةً لشهادة اللّه؟ أيّ منطقٍ هذا؟!

في سورة النمل في قصّة سليمانَ وآصف: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ** - مَن هُو القائلُ؟ سُليمان، الآية ٣٨ بعد البسملة - **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا** - بعرش بلقيس - **قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ۞ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** - لم يُعجِب هذا سليمان - **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾، هذا هو الَّذي أرادهُ سُليمانَ بغضّ النَّظرِ عن القصّة، هذا الَّذي عندهُ بعضُ شيء من علم الكتابَ كانَ هذا حالهُ بحسب قصّة سُليمانَ وآصف في سورة النمل، فما بالُكُم بالَّذي عندَهُ عِلمُ الكتابِ كُلّه؟! هل يُعقلُ هذا في قومٍ من اليهودِ أو في قومٍ من النصارى؟!

لا ينطبقُ هذا إلَّا على من عبَّرَ القرآنُ عنهُ في سورة آل عمران في الآية ٦١ بعد البسملة آيةُ المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾ ، لأنَّ علياً نفسهُ ولهذا آخاهُ، ولأنَّ أبا بكرٍ وعمر من الطينةِ نفسها فآخى بينهما، النَّبيّ آخى بينَ المهاجرين والأنصار، وآخى بينَ أصحابه.

في سورة الجن، الآية ٢٦ بعد البسملة وما بعدها: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً** - الآيةُ الوحيدةُ في الكتاب الكريم الَّتي نسبت الغيبَ بشكلٍ مباشرٍ وبإضافة مباشرة إلى ضميرٍ يعودُ على اللّه، كلُّ ما غابَ عن الذهنِ فهو غيبٌ، كُلُّ ما لا نعرفهُ عن السَّماوات وأسرارها غيبٌ، لكنَّ هذا لا علاقة لهُ بغيبِ اللّه، غيبُ اللّه شيءٌ آخر لا يعرفهُ إلَّا هُو وإلَّا مُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد، القُرآنُ هُوَ الَّذي يقولُ هذا - **إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾، في بعض رواياتنا أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه يقول: أنا المرتضى من الرَّسُول، فالرَّسُولُ هو المصطفى وعليٌّ هو المرتضى وعلمُ مُحَمَّد علمُ عليٍّ وعلمُ عليٍّ علمُ مُحَمَّد صلّى اللّهُ عليهما وآلهما..

في سورة يس، الآية ١٢ بعد البسملة: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** - هذه نماذجٌ من الأمور الَّتي ضربتها لنا الآيةُ، لكنَّ الحقيقةَ الكاملةَ في آخر الآية: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴾، وكُلَّ شيء، هذا هو الإمام الَّذي عندَهُ علمُ الكتاب، وهذا هو الإمامُ الَّذي هو نفسُ رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله، وهذا هو الإمامُ نفسهُ الَّذي اشترطَ علينا مُحَمَّدٌ المصطفى بأمرٍ من اللّه أن نبايعَهُ في الغدير وأن يكونَ علمُنا من علمه وأن يكونَ دينُنا من دينه، وأن يكونَ فقهُنا من فقهه، وأن يكونَ تفسيرُنا من تفسيره فقط وفقط وفقط لحقيقة هي هذه؛ "لأنَّ كُلَّ شيء قد أُحصي فيه"..

في الآية ٥٩ بعد البسملة من سورة النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** – هذا واضح - **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾، بحسبِ قراءة أهل البيت: "**فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**"، الأئمَّةُ يقولونَ لنا: إن لم تُقرأ الآيةُ بهذه القراءة فإنَّها ستكونُ متناقضةً..

الآيةُ في صدرها أمرٌ بطاعة اللّه وطاعة الرَّسُول وأولي الأمر: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ** "، هذا يعني أنَّهم يتنازعونَ مع أولي الأمرِ أيضاً!! لأنَّ أولي الأمرِ هُنا ذُكروا في بقيَّة الأُمَّة، فكيفَ في أوَّل الآيةِ هُناكَ أمرٌ بطاعتهم وفي آخر الآية هُناكَ مساحةٌ للتنازعِ معهم؟! هذا تناقضٌ واضح.

ولذا في قراءة أهل البيت: "**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**"، واضحٌ الآيةُ هُنا جعلت الطاعة حتّى بحسبِ قراءة المخالفين في صدر الآية، طاعةٌ أولي الأمرِ هي بنفس المنزلة وبنفس المستوى لطاعة الرسول وطاعة اللّه سبحانهُ وتعالى، هذا يعني أنَّ العلمَ واحدٌ وإلَّا كيفَ نُطيعُ مَن علمهُ ناقصٌ؟! كيفَ نُطيعُ من هو جاهلٌ؟ العلمُ واحدٌ والوَلايةُ واحدة، هؤلاء لابُدَّ أن يكونوا على إحاطة تامَّة بحقائق القُرآن، بحقائق العلم الإلهي وإلَّا كيفَ نُطيعهم طاعةً كطاعة اللّه وطاعة رسول اللّه وهم لا يمتلكونَ العلمَ نفسه؟! هل يكونُ هذا الكلامُ منطقياً؟!

وهُنا يعودُ كلامُ أئمَّتنا من أنَّ الآيةَ لابُدَّ أن تُقرأ بهذه القراءة الصحيحة: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.

وهذا المعنى تُصدِّقهُ الآيةُ ٨٣ بعد البسملة من سورة النساء نفسها: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ** - وهذا هو الَّذي يُسبِّبُ التنازعَ بينهم - **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، الآيةُ واضحةٌ فالَّذينَ حذفوا أولي الأمر هُم الَّذينَ اتَّبعوا الشَّيطان، فهل يكونوا أولوا الأمرِ هُنا سبباً لدفع النزاع وهُنا يكونونَ جزءاً من النزاع أيّ كلامٍ هذا؟!

في الآية ٧٧ بعد البسملة وما بعدها من سورة الواقعة: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ۞ **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ۞ **لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** - لا يَمسّه ليسَ الحديثُ عن مَسّ الكتابِ باليد، سيكونُ المعنى سخيفاً جدّاً، إلَّا إذا قُصدَ من هذا أفقٌ من الأفاق، الأفقِ الأول، أمَّا الأفقُ العميق فالمرادُ من المس مسّ العقول، ومسّ القلوب، ومسّ الأرواح، ومسّ الإنسانِ لحقائق القُرآن بوجدانه وضميره وبصيرته - **تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، المُطهَّرونَ هُم الَّذينَ يستطيعونَ أن يتواصلوا مع هذا القُرآن، في أفقِ كرامة القُرآن، هذا أفقٌ يختلفُ عن الأفاق الَّتي تقدَّمَ ذكرها، كانَ الحديثُ عن أنَّ القُرآنَ أُحكمت آياتهُ وفُصِّلت هذا أفقٌ من الأفاق وكانَ الحديثُ عن أنَّ القُرآنَ حديثٌ مُتشابهٌ وهذا أفقٌ آخر، ومن أنَّ القرآنَ آياتٌ مُحكَماتٌ وآياتٌ مُتشابهات، هذه أفاقٌ في جهةٍ من الجهات، هُناكَ أفاقٌ أخرى للقُرآن..

أفقٌ آخرَ للقُرآن في الآية ٤٣ بعد البسملة من سورة الزخرف: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** - هذا أفقٌ - **وَإِنَّهُ** - وإنَّ القُرآنَ - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾.

هذا المقامُ الأوَّل المقامُ الصّامت: "**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**"، هذا هو القرآنُ الصّامت.

القرآنُ النّاطق هو هذا: "**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**"، هذا مقامٌ من مقاماته.

هؤلاء المطهَّرونَ هُم الَّذينَ ذُكروا في سورة الأحزاب في آية التطهير، في الآية ٣٣ بعد البسملة: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** - الخطابُ لنساء النبيّ ثُمَّ ينقطعُ الخطاب - **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** - انتهى الكلام - **إِنَّمَا** - بدأ الحصر - **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، هذا مُصطلحٌ خاص، المخالفونَ يقولونَ من أنَّ نساء النبيّ داخلاتٌ في الآية لو كانَ الأمر هكذا لماذا قالت الآيةُ: "**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ؟!**"، لماذا ما قالت الآيةُ وقَرنَ في بيتكُنَّ فأنتُنَّ من أهل البيت؟ لما يعودُ الخطابُ في الآية الَّتي بعدها: "**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**"، أيضاً في بُيوتكُنَّ، من الَّذي يتلو؟ هُناكَ جهةٌ تتلو، إنَّها جهةُ المطهَّرين، هذه الجهةُ الَّتي تتلو كتابَ اللّه، وتُعلِّمُ كتاب اللّه، إنَّهم أصحابُ آية التطهير، فالآيةُ ما قالت لنساء النَّبي من أنَّكُنَّ أنتُنَّ اللاتي تقُمنَ بتلاوة القُرآن، لماذا يكونُ الحديثُ عن بيوت وليس عن بيت واحد؟ بينما حينما توجَّه الخطابُ إلى المجموعة المذكَّرة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، قبلَ هذا الخطاب مع نساءَ النَّبيّ يشتملُ على ذكرِ البيوت: "**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**"، وبعد هذا: "**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ**"، ما يُتلى هذهِ الجهةُ الَّتي تتلو الجهةُ المطهَّرة.

في الآية ٥٣ بعد البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ** - نُسبت البيوت إلى النَّبي، لماذا لم تَقُل الآيةُ لا تدخلوا بيت النّبي لماذا بيوت؟ إنَّها بيوتُ نسائه - **إِلَّا أَن يُؤذَنَ لَكُم إِلَىٰ طَعَامٍ غَيرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾، غَير ناظرينَ إناه؛ غير منتظرينَ نُضج هـذا الطعام، هـذه قضيّةٌ اجتماعيةٌ ترتبطُ بالصحابة وسوء تصرّفهم وسوء أدبهم مع رسول الله صلّى اللّهُ عليه وآله، لماذا لم تقل الآيةُ لا تدخلوا بيت النَّبي؟ بينما في آية التطهير: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ**﴾، هـذا بيتٌ معنويّ لا علاقة لهُ بالبيوت الجغرافية، إمامُ زماننا لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، بنحوٍ فيزيائي اعتيادي، لكنَّهُ هو قائم هـذا البيت، هـذا عنوانٌ حقيقيّ معنويٌّ لا علاقة لهُ بالبيوت الجغرافيّة والفيزيائيّة لنساء النَّبي، وهـذا البيتُ النبي جزء منه، هـذا مصطلح عقائديّ إنَّهم المطهَّرون الَّذين يُدركونَ حقائق القُرآن، والقرآنُ صورةٌ صامتةٌ عنهم وهم الحقيقةُ النَاطقةُ للقُرآن، القُرآنُ الَّذي هو محفوظٌ عندهم: ﴿**إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، في الجهة نفسها، فلا يُعقلُ من أنَّ اللّه نزَّل الكتاب في جهةٍ وجعل حفظهُ في جهةٍ أخرى عندَ الأُمَّة، لا يُمكنُ هـذا، الأُمَّة لا يُوثَقُ بها، لابُدَّ من جهة معصومة..

• **ما هو موقف القُرآن من علم الرِّجال؟**

لقد حدَّثتكم عن هـذا كثيراً لكنَّني سأمرّ على بعض الآيات الَّتي ترتبطُ بهـذا الموضوع..

في سورة هود، قصّة نوح النَّبي ما يرتبط بولده الَّذي لجأ إلى الجبل: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابنَهُ وَكَانَ فِي مَعزِلٍ يَا بُنَيِّ اركَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ** - الآيةُ ٤٢ بعد البسملة من سورة هود وما بعدها من الآيات - **قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ**﴾.

إلى أن تقول الآية ٤٥ بعد البسملة: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِي مِن أَهلِي وَإِنَّ وَعدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحكَمُ الحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ** - تقييمك الرجالي خاطئٌ يا شيخَ المرسلين، مع هـذا العمر الطويل وهو شيخُ المرسلين لم يكُن قد أصاب في التقييم الرجالي لابنه - **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ فَلَا تَسأَلنِ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ** – هـذا التقييم الرجالي جهلٌ ما هو بعلم - **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ**﴾، أن تكونَ من المعتمدين على التقييم الرجالي، فالتقييم الرجالي جهلٌ وجهالةٌ يا شيخ المرسلين لا تعتمد عليه..

- **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَسأَلَكَ مَا لَيسَ لِي بِهِ عِلمٌ وَإِلَّا تَغفِر لِي وَتَرحَمنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ**﴾، عاقبةُ علم الرِّجال هي هـذه: الخُسران.

في الآية ١٠١ من سورة التوبة: ﴿**وَمِمَّن حَولَكُم مِّنَ الأَعرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِن أَهلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعلَمُهُم** - الخطابُ لرسول الله لفظاً، المضمونُ لي ولكم - **نَحنُ نَعلَمُهُم**﴾، إذا كانَ رسولُ الله بحسبِ ظاهر الخطاب لا يمتلكُ القواعدَ الصحيحةَ لتقييم الناس من حوله وهو خاتمُ الأنبياء، قطعاً النبيّ ليس كذلك، الخطابُ لرسول الله كي نتمسّك نحنُ بهـذا الخطاب كي لا نثق بتقييماتنا، إذا كانَ الخطابُ لفظاً مُوجّهاً لرسول الله ويقولُ لهُ لا تعلمهم أنتَ لا تعرفُ هـؤلاء المنافقين إذاً أنا أعرفهم؟! هل الأُمَّةُ تعرفهم؟ هـذا يعني أنَّ الموازينَ الرجاليّةَ لا قيمةَ لها.

في سورة مُحَمَّد صلّى اللّهُ عليه وآله، الآية ٢٩ بعد البسملة وما بعدها: ﴿**أَم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخرِجَ اللَّهُ أَضغَانَهُم ۞ وَلَو نَشَاءُ لَأَرَينَاكَهُم فَلَعَرَفتَهُم بِسِيمَاهُم** - هـذه قضيّةٌ غيبيّةٌ، يعني أنَّ معرفة هـؤلاء المنافقين بحسبِ القواعد الرجالية لا تتحقَّق، ولكن لابُدَّ من بعد غيبي في الأمر - **وَلَتَعرِفَنَّهُم فِي لَحنِ القَولِ وَاللَّهُ يَعلَمُ أَعمَالَكُم**﴾، ولتعرفنَّهم في لحنِ القول: هـذا تحقيقٌ حسي في معرفة الأشخاص، فمن أين يعرفُ الرِّجاليونَ حقائقَ رواة الحديث وهم ليس لهم من معرفة تحقيقيّة حسيّة؟ كيفَ يعرفونَ حقائقَ الرِّجال؟ الآياتُ واضحةٌ كلُّها تُشيرُ إلى بُطلانِ ما يُسمّى بِعلم الرجال..

الآيةُ الأصل الَّتي جاءَت في سورة الحجرات وهي الآيةُ ٦ بعد البسملة، هـذه الآيةُ تنقضُ علم الأصول وتنقضُ علم الرجال، بعبارة أخرى تنقضُ عمليةَ الاجتهاد: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾، الآيةُ ما قالت لنا ارفضوا خبر الفاسق، وهـذا فاسقٌ بعلم الله، بتقديرٍ وعلمٍ من الله، اللّهُ هو الَّذي يُقيمهُ بأنَّهُ فاسق، ومع ذلكَ فإنَّ اللّه يقولُ لنا: لا تردُّوا خبرَ الفاسق، وإنَّما تبيّنوا، بالبحث والتحقيق، هـذا يعني أنَّ علمَ الرِّجال لا قيمةَ لهُ عندَ اللّه، لو كانَ لعلم الرجال من قيمة عندَ اللّه لقالَ لنا: ابحثوا عن الراوي هل هو ثقةٌ أم لم يكُن، اللّهُ قَالَ لنا: حتَّى لو كانَ فاسقاً لا ترفضوا خبرَه، وإنَّما تبيّنوا مضمونَ خبره، وهـذا يعني أنَّ خبرَ الفاسق يُمكنُ أن يكونَ صحيحاً ويُمكنُ أن لا يكونَ صحيحاً، وإلَّا لماذا أمرنا اللّهُ بأن نتبيَّن؟! وهُنا سقطَ علمُ الرِّجال لا قيمةَ لهُ..

- **أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ**﴾، هـذا يعني أنَّ خبرَ الفاسق يكونُ علماً إذا كانَ صحيحاً، فسقطَ علمُ الحديث وعلمُ الدراية؛ "من أنَّ خبرَ الواحد لا يُمثِّلُ علماً وإنَّما يكون ظنياً، ومن أنَّ الخبرَ الَّذي يكونُ علم ياً هو الخبر المتواتر"، هـذا الهراء كلُّه لا قيمة لهُ، لأنَّ الآية هـكذا تقول: "**فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ**"، هـذا متى؟ إذا كان الخبرُ ليس صحيحاً، إذا كانَ الخبرُ صحيحاً فإنَّنا سنكونُ قد تحدَّثنا بعلمٍ، هـذا منطق القرآن، أنا لا أتحدَّثُ بروايةٍ هُنا، هـذه آيةٌ من القرآن..

هـذه الآيةُ ناقضةٌ لكُلِّ الحوزة الطوسيّة من أولها إلى آخرها.

• **المكوِّنُ الثالث: ما اصطلحتُ عليه مُصطلحَ "الفاعل العقلي"، النشاطُ العقليّ لعلماء أصول الفقه.**

نشاطهم العقليّ في أغلبه نشاطٌ ظنيّ بمستوى الظَّن لكنَّهم يضحكونَ على أنفسهم ويضحكونَ على غيرهم من أنَّ الظَّنَّ هـذا جعلهُ الشارعُ بجعلٍ خاصٍّ أن يكونَ حُجَّةً على النَّاس، أن يكونَ حُجَّةً على الأصوليّينَ وأتباعهم، هـذه المهزلةُ..

في الآية ٩ بعد البسملة من سورة الزمر: ﴿**قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلبَابِ**﴾، لا يمكن أن يكونَ هُناك تساوي بينَ الَّذينَ يعلمونَ وبينَ الَّذينَ لا يعلمون، هـذه الآيةُ بحسبِ تفسير العترة هي في مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

"**وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ**"؛ من الأعرابِ وغيرهم من الصحابة من المراجع الَّذينَ هُم على المذهب الطوسي القَذر.

أقفُ عندَ الآية في معناها العام لأنَّني أتحدَّثُ هُنا عن الجانب العقلي في علمِ أصول الفقه، نتائجُ الأحكامِ عندَهم كما هم يقولونَ يُمكن أن توافقَ الواقعَ المعصومي ويُمكن أن لا توافقه..

في سورة يونس، الآية ٣٦ بعد البسملة: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُم إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفعَلُونَ**﴾، الآيةُ الَّتي مرّت علينا قبلَ قليل وهي ٩ بعد البسملة من سورة الزمر: ﴿**قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ**﴾، الَّذينَ لا يعلمونَ هُم الَّذينَ يعملونَ بالظَّن..

في سورة النجم، الآية ٢٨ بعد البسملة: ﴿**وَمَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئاً**﴾..

هُناك علمٌ؛ "**قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ**"، الَّذينَ يعلمون يسيرونَ في الطريق الصحيح.

والَّذينَ لا يعلمون وهُم الَّذينَ يَعملونَ بالظنون يَسيرونَ في الطر يق الخاطئ، لكنَّهم يضحكونَ على أنفسهم بأنَّ الظنونَ هذه جعلَ اللّهُ لها حُجيّةً فصنعوا ديناً بديلاً، صنعوا ديناً مزيّفاً..

في الآية ٣٦ بعد البسملة من سورة الإسراء: ﴿وَلاَ تَقفُ مَا لَيسَ لَكَ بِه علمٌ - "لا تَقفُ"؛ لا تَتّبع - إِنَّ السّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾، أنتَ مُحاسبٌ، هـٰذه الظنونُ لا يجوزُ لكَ أن تعملَ بها في دين اللّه، عَليكَ أن تأخُذَ دينكَ على أساسٍ علمي لا على أساس الظنون، لا عَلى أساسِ تُرّهاتِ علماء سقيفة بني ساعدة وبني طوسي..

في سورة الأنعام، الآية ١٤٤ بعد البسملة: ﴿فَمَن أظلَمُ ممَّنِ افتَرَى عَلَى اللّه كَذباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيرِ علمٍ﴾، الَّذي يرسمُ ديناً للنَّاس من دون أن يكون مُستنداً إلى علم القُرآنِ المفسِّر بتفسيرهم وإلى علم حديثهم المفهَّم بتفهيمهم فهـٰذا هـٰكذا يتحدَّثُ عنهُ القرآن: "فَمَن أظلَمُ"، من هُنا فإنَّ إمامنا الصَّادقَ حينما تحدَّثَ عن أكثرِ مراجع التقليد عندَ الشيعة زمان الغيبة الطويلة وصفهم بأنَّهم أضرّ على الشيعة من جيشِ يزيد على الحُسين بن علي وأصحابه، فَإنَّ الآية تتحدَّثُ عن نفسِ المضمون - إِنَّ اَللّهَ لاَ يَهدِي القَومَ الظَّالمِينَ﴾، هـٰؤلاء الظَّالمون لا تتوقَّعوا أنَّهم في يومٍ من الأيامِ يهتدون، لا تتوقَّعوا ذٰلك، أتحدَّثُ عن المراجع الطوسيين عن مراجع النَّجف وكربلاء..

في سورة الأعراف، الآية ١٦٩ بعد البسملة في سياق قصّة بني إسرائيل: ﴿فَخَلَفَ من بَعدهم خَلفٌ وَرِثُوا الكتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هـٰذَا الأدنَى وَيَقُولُونَ سَيُغفَرُ لَنَا وَإِن يَأتِهِم عَرَضٌ مِّثلُهُ يَأخُذُوهُ﴾، إنَّهم يجعلونَ الدِّينَ وسيلةً لصيد الدُّنيا، وهـٰذا بالضَبط ما يفعلهُ رجالُ الدِّين في كُلِّ الأديان، وإنَّ من أمهرِ الَّذينَ يفعلون هـٰذا الفعل مراجعُ النَّجف وكربلاء، ينصبونَ الدِّين كميناً لاصطياد الدُّنيا..

- أَلَم يُؤخَذ عَلَيهِم مِّيثَاقُ الكتَابِ - إنَّهم نبذوا ميثاقَ الكتاب - أَن لاَّ يقُولُوا عَلَى اللّه إِلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعقِلُونَ﴾، هـٰذه الآيةُ كأنَّها تتحدَّثُ عنَ أيَّامنا هـٰذه.

في سورة يونس، الآية ٥٩ بعد البسملة: ﴿قُل أَرَأَيتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزقٍ فَجَعَلتُم مِّنهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُل آللّهُ أَذِنَ لَكُم أَم عَلَى اللّهِ تَفتَرُونَ﴾، من أينَ جئتم بهـٰذه الفتاوى والأحكام الظَّنيّة؟!

في الآية ٤ بعد البسملة من سورة الأحقاف: ﴿قُل أَرَأَيتُم مَّا تَدعُونَ من دُونِ اللّهِ أَروُنِي مَاذَا خَلَقُوا منَ الأَرضِ أَم لَهُم شِركٌ فِي السَّمٰوَاتِ ائتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبلِ هَـٰذَا أَو أَثَارَةٍ مِّن عِلمٍ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾، "أَثَارَةٌ من علم"؛ بقيةٌ من علم، شيءٌ من العلم، لأنَّ ضلالَ النَّاس يأتي من الظُّنون ويأتي من الأهواء، فهل أنَّ علماء الأصول اتَّبعوا منهج اللّه؟ لم يتبعوا منهج اللّه، إنَّهم يبنونَ على الظُّنون في كُلِّ ما يقولونَ به وفي كُلِّ ما يفتونَ به..

في سورة البقرة، الآية ٢٨٢ بعد البسملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكتُبُوهُ﴾، هـٰذه آيةُ الدَّين، في آخر الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، اللّهُ يعلِّمكُم إذا ما سرتم على الطريق الصحيح.

**حقيقةُ التَّقوى؛** الوفاء ببيعة الغدير، لأنَّ التَّقوى هي الوقايةُ من النَّار، الوقايةُ من الكفر، هـٰذه المعاني لا تتحقَّقُ إلَّا بالالتزامِ والتمسُّك ببيعة الغدير، ﴿وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ﴾..

في الآية ٤ بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿يَسأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُم قُل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمتُم مِّنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ ممَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا ممَّا أَمسَكنَ عَلَيكُم﴾، إلى آخر الآية، هـٰذا تعليمٌ لكلاب الصيد بتعليمٍ من اللّه، إذا كانت كلابُ الصيد لابُدَّ أن تُعلَّم بتعليمٍ من اللّه لماذا علماء الأصول يتعلَّمونَ من الشَّيطان؟! اللّهُ هو الَّذي يقولُ لنا: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾، إذا كانَ اللّهُ يعلِّمُ الكلاب ألا يُعلِّمنا؟! لماذا نُعرِضُ عن اللّه؟! علينا أن نتوجَّه إلى وجه اللّه، (أينَ وجهُ اللّه الَّذي إليه يَتوجَّهُ الأولياء)، إنَّهُ إمامُ زماننا..

قد يقولُ قائلٌ: هُناكَ مُكونٌ رابعٌ أنتَ أعرضت عنه وهُو اللغة، اللغةُ ترتبطُ بالقُرآن بفهم القُرآن، وترتبطُ بالعلمِ لا بالظُّنون فهي داخلةٌ في الآيات المتقدِّمة، فإذا أردنا أن نتحدَّثَ عن اللغة وعن الألفاظ وعن دلائل الكلمات والصيغ والهيئات في اللغة الَّتي يتكلَّمُ بها الدِّين في نصوص القُرآنِ ونصوص الأحاديث المعصومية فلابُدَّ أن يكونَ كلامَنا علمياً فنعودُ إلى موضوعة الفاعلَ العقلي ولابُدَّ أن يكونَ كلامنا منسجماً مع مقاييس البلاغة والفصاحة القُرآنيّة فنعودُ إلى الآيات الَّتي تحدَّثت عن القُرآن وعن طريقة تعاملُنا مع القُرآن وبهـٰذا حينما كانَ علمُ أصول الفقه مُناقضاً لمنهج القُرآنِ في فهمِ القُرآن وكانَ مُناقضاً للقُرآنِ في مسألة علم الرِّجال لأنَّ القُرآنَ رفضَ علمَ الرِّجال جملةً وتفصيلا، وكانَ علمُ أصول الفقه مُناقضاً لمنهج الدِّينِ في القُرآن وهو منهج العلم بينما علم أصول الفقه اعتمدَ منهج الظُّنون، فكُلُّ ما في علم الأصول يتناقضُ مع القُرآنِ بالمطلق.

فإنَّ حُكم القُرآنِ جاءَ في سورة المائدة، الآية ٤٤ بعد البسملة: ﴿وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، هـٰذه الآيةُ دائماً يستدلُّ بها القطبيّون والسياسيّون على إقامة حُكمٍ في الأرض، الآيةُ تتحدَّثُ عن الأحكام الشرعية واستنباطها وتفاصيلها: ﴿إِنَّا أَنزَلنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحبَارُ بِمَا استُحفِظُوا من كِتَابِ اللّه وَكَانُوا عَلَيهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخشَوُا النَّاسَ وَاخشَونِ وَلاَ تَشتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾، الآيةُ تتحدَّثُ عنَ استنباط الأحكام الشرعيّة وعن أنَّ مصادر الدِّينِ من العلمِ الدِّينيّ وليس من الظُّنون..